العدد (1623) السنة السابعة - الخميس (8) تشرين الاول 2009 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

حين تغلق صالات الأحلام

في مديح دور السينما ببغداد أو رثائها... لا فرق

علي عبد الامير عجام

خلقت دور العرض السينمائية في بغداد تقاليد اجتماعية وثقافية، بل كانت منذ اربعينيات القرن الماضي واحدا من المصادر الغنية للعراقي في معرفة الآخر، ونادرا ما تجد مواطنا متعلما ممن بلغ في اواخر القرن العشرين، العقد الرابع من عمره، لم تكن السينما شكلا من اشكال التسلية الراقية عنده.
ودور العرض في بغداد تتعدد لا بحسب الامكنة وحسب، بل بحسب الاذواق وبحسب الشكل السينمائي، فلا يمكن ان تذكر "سينما النهضة" في منطقة الباب الشرقي الا وتستعيد ذاكرة جمهور السينما في العراق مئات الافلام الاجنبية.

كيف لي ان انسى هنا رقة اخي قاسم وقد عرّفني الى اجواء عروض هذه الدار؟ كيف لي ان انسى فيلم "غرباء حين نلتقي" (الصورة) حين اخذني اليه، وكيف اشار الى ملمح في الفيلم كان علي لاحقا ان اعتبره اول درس لي في تذوق الصورة ودلالات البناء الدرامي، حين ربط بين قصة الحب المتنامية بين كيرك دوغلاس وكيم نوفاك في الفيلم، والبيت الذي كان يبنى طوال فترة العلاقة بينهما، في اشارة ذكية منه الى ان الحب في عمقه الوجداني والانساني هو بناء حقيقي وكيان يتحول الى حيز ملموس ومؤثر.

وكيف لي ان انسى درسه التربوي حين اخذني العام ١٩٦٨ الى الفيلم الذي احدث ضجة في العالم "الى استاذي مع التحية"، فمع سحر الممثل سدني بواتييه الاستاذ الذي قرر التصدي لتحسين سلوك طلبة مشاغبين بالتوازي مع اغناء قيم المعرفة والايثار والصداقة وحب الآخر، ومع غناء لولو الذي صارت واحدة من المغنيات البريطانيات الشهيرات، أمكنني ان اخرج من صالة السينما مكتظا بمشاعر أصيلة عن قدرة السلوك التربوي على تغيير البشر وافكارهم نحو اتجاه ايجابي يركز قيم الخير والسلام والتعاون.

وفيما كنت قد تحصلت على قدرة شخصية في مواصلة المعرفة والثقافة بعد ان رسّخ فيّ أخي أسسا قوية وثابتة، ظلت "سينما غرناطة" محطة لخطاي منفردة تارة ومصحوبة باصدقاء وصديقات تارة اخرى، وفيها شاهدت افلاما فرنسية بارزة، لا سيما مع موجة افلام السينما الفرنسية التي غزت بغداد في سبعينيات القرن الماضي، كما في فيلمي "الموت حبا" و"الاغتيال" والاخير كان معالجة سينمائية مؤثرة عن اغتيال السياسي المغربي المهدي بن بركة في باريس العام ١٩٦٥.

واذا كانت "سينما غرناطة" تخصصت بالافلام الاجنبية وتقاليد خاصة ليس اقلها عرض فيلم خاص لمرة واحدة في الساعة الواحدة بعد الظهر لاعلاقة له بالفيلم المعروض طوال اليوم، فان من نافسها على جودة عروض السينما العالمية كانت "سينما سميراميس" في عروض ما كان يعرف حينها "السينما التقدمية" بحسب تعبيرات عقد السبعينيات وتحديدا في افلام "زد"، "ساكو وفانزيتي" و"حالة حصار"، ومعها كانت تتحول تلك العروض الى منتديات ثقافية واجتماعية متحركة، فبامكانك مشاركة اي من الجمهور في نقاش حول الابعاد الفكرية والفنية للعروض، حيث الكثيرون كانوا جاءوا وهم يعرفون الى اين هم ذاهبون، في تطلع هادر الى المعرفة والحرص على الاتصال مع كل ما كانت تلك العروض تثيره من ايحاءات ودلالات. أقل ما يمكن وصف جمهور تلك العروض بانه جمهور مثقف، جمهور متذوق. وعلى الرغم من تغير المزاج الثقافي والسياسي العراقي في ثمانينيات القرن الماضي الا ان "سمير أميس" حاولت البقاء ما امكنها حارسة لذوق رفيع في الفن السابع حين وفرت للمشاهدين فرصا نادرة لمتابعة افلام بارزة مثل "نادي القطن" لفرانسيس كوبولا، و"هانا. ك" لكوستا غافراس، و"المحصنون" لبرايان دي بالما.

واذا كانت "سينما بابل" تخصصت باسابيع الافلام لدول المعسكر الاشتراكي السابق، فثمة اسبوع الفيلم السوفياتي والفيلم البولندي واليوغسلافي، فان عرضا راقيا فيها كان من بين عروضها الاولى في العام ١٩٧٥ حملني على اجنحة راقية من الجمال، وهو معالجة سينمائية حميمة لحياة المؤلف الموسيقي شتراوس. كما انني شاهدت غير مرة فيها فيلم "عودة الابن الضال" ليوسف شاهين وفيه عرف عراقيون كثر صوت ماجدة الرومي لاول مرة، مثلما تعرفت عبرها وغيري كثر من ابناء جيلي على فيلمين عربيين بارزين "المذنبون" و"أريد حلا" لمخرج واحد هو سعيد مرزوق.

وعلى بعد اقل من خمسين مترا من "سينما بابل" ثمة قلعة الافلام العربية أي "سينما النصر" التي تخصصت بجديد السينما المصرية بل ان مسرحها شهد في العام ١٩٦٥ حفلة غنائية احياها الراحل عبد الحليم حافظ، ولتكن الصالة ذاتها التي ضمت فيلمه الشهير "ابي فوق الشجرة" والذي استمر في عروض متواصلة زادت عن ستة اشهر.

ومن النادر ان تصل دار سينما مستوى بحيث تمنح اسمها لشارع، ولكن "سينما الخيام" فعلت ذلك فلا احد يعرف التسمية الرسمية للشارع الذي تشغله، لكن عروضا من سينما "الاكشن" و"الويسترن" بدأت منذ خمسينيات القرن الماضي منحت السينما تلك سطوة لاتدانيها سطوة، وكان فيلم "البؤساء" المأخوذ عن رواية فيكتور هيجو الشهيرة، هو الخطوة الاولى لي الى هذه السينما رفقة اخي قاسم الذي حرص، من خلال اصطحابي لمشاهدة الفيلم، ان يحبب الي فكرة الثورة على الظلم وحب الادب ايضا.

في نيسان ٢٠٠٣، وبعد أيام على عودتي الى بغداد هالني المشهد الكئيب الذي انتهت اليه "صالات الاحلام" في بغداد، فاقترحت على الناقد السينمائي المعروف ابراهيم العريس الذي كان مسؤولا لصفحة "سينما" في صحيفة "الحياة" التي كنت اعمل مراسلا لها منذ العام ١٩٩٨، ان اكتب عن حال دور السينما في بغداد. رحب الاستاذ العريس بالفكرة، وفضلا عن استذكارات لصالات السينما في ايام عزها كما اختبرتها، بدأت بسؤال:

ولكن اي حال تعيشها "صالات الأحلام" هذه الايام؟ وهل خرجت عروضها من حصار قضى عليها في السنوات التي اعقبت غزو الكويت؟

اللافت ان الحصار الذي جاء على مقدرات الطبقة المتوسطة المنتج الاكبر للحياة الثقافية في العراق، كان قد اتى على قدرة السينما في جذب المشاهدين، كما ان حصارا داخليا بدأ بعد سقوط النظام السابق، فثمة تهديدات الاصوليين والمتشددين تنهال على اصحاب صالات السينما الذين فضلوا تشغيلا مربحا لايجلب المشاكل، فصار بعضها مخازن خشب وآخر مصانع احذية،

فيما جاهد القليل كي يظل محافظا على تدافع الصور المضيئة في ظلام القاعات، ولكن بوجود "رجال حماية" يستشعرون خطر التهديدات الاصولية ويدفعونه قبل اقترابه. القليل هذا فضل عروضا ترضي جمهور قاع المدينة، عروضا اقرب الى السينما الإباحية!

"سينما بغداد" في منطقة "علاوي الحلة" مغلقة، وحالها مشابهة لإغلب دور السينما في قلب بغداد القديم: شارع الرشيد الذي كان يضم عددا من دور السينما، ومنها "سينما الشعب" التي تحولت الى محال بعد ان ايقن صاحب العمارة بان السينما لم تعد تدر ربحا وفيرا عليه كما كانت في السابق. وتحولت "سينما الوطني" الى "مسرح علاء الدين" وكانت تختص بالعروض الكوميدية والغجرية الراقصة قبل اكثر من عشر سنوات وتحولت الى مخازن خشب ومحلات نجارة اليوم. "سينما روكسي" التي كانت تجذب الناظر بتماثيلها الجميلة اعلى بنايتها وفي زوايا قاعتها، تحولت الى "مسرح وسينما النجاح" ولاتزال ماكنتها تدور ولكن اي مشاهد محب للسينما سيتراجع فورا وهو يرى الصور الفاضحة التي وضعت في جوانب الممر المؤدي الى الصالة، والرواد اغلبهم من المراهقين او من العاطلين عن لذة عابرة عبر "ثلاثة افلام في ان واحد".

ومن شاهد فيلم "الفراشة" واستمتع بملحمة اداء ديستان هوفمان وستيف ماكوين سيحزن على حال سينما "النجوم" التي سبق لها ان منحت كثيرين شعورا بالجذل في نشيد روحي عميق بعد مشاهدته "تلك الكلمة الحلوة: الحرية" في منتصف سبعينيات القرن الماضي. كما ان من ارتعش قلباهما ذات يوم وهما يتابعان سعاد حسني في "الحب الذي كان" او جرحهما يوسف شاهين في "العصفور" سيمران ونظرتهما منكسرة نحو "سينما النصر" التي ظلت الحياة متوقفة فيها عند آخر عرض من عروض "المسرح التجاري".

الصمت والغبار يحيطان بالمكان الذي عرض فيه فيلم للمخرج البولوني الشهير أندريه فايدا، الصمت الحجري القاتل هو ما انتهت اليه "سينما بابل".

شرح الصور:

١. فيلما "غرباء حين نلتقي" و"الاختيار" من العصر الذهبي للعروض السينمائية ببغداد.

٢. مشهد لسينما سمير أميس صيف العام ٢٠٠٤.

شاعر وناقد موسيقي وصحافي مقيم في اميركا
aliabdulameer@hotmail.com

سينما زمان

كازابلانكا

Casablanca 1942

ترجمة: عادل العامل

أخرج الفلم، وهو من نوع الدراما والرومانس (القصة الغرامية)، مايكل كرتز، ومثّل فيه همفري بوغارت، إنغريد بيرغمان، بول هينريد، وكلود رينز. ومدة عرضه ١٠٢ دقيقة..

يُعد (كازابلانكا) من أحب الأفلام الأميركية، وهو مغامرة أسرة من زمن الحرب، تمزج بين الرومانس والتآمر، يتحدى بها المخرج مايكل كرتز التصنيف القياسي للأفلام. وهي ببساطة قصة ريك بلين (همفري بوغارت)، مقاتل من أجل الحرية سابق وضجر من الحياة يُدير نادياً ليلياً في كازابلانكا خلال الجزء المبكر من الحرب العالمية الثانية. وبالرغم من الضغط الذي يتعرض له من السلطات المحلية، وبشكل ملحوظ الكابتن الماكر رينولت (كلود رينز)، فإن النادي أصبح ملاذاً مفضّلاً لدى اللاجئين المتطلعين إلى شراء رسائل الترانزيت المحظورة التي ستسمح لهم بالهرب إلى أميركا. وفي أحد الأيام، ولدهشة ريك الكبيرة، يقترب منه الثائر الشهير فكتور لازلو (بول هينريد) وزوجته آيلزا (أنغريد بيرغمان)، حبيبة ريك الحقيقية التي تركته حين غزا النازيون الألمان باريس. وهي تريد من فكتور الهرب إلى أميركا، لكنها الآن وقد تجدد حبها لريك تريد أن تتخلف في كازابلانكا. وتقول لريك "يجب عليك أن تُعمل التفكير من أجلنا معاً". ويفعل ذلك، وتأتي خطته بالخاتمة المنطقية على نحوٍ مُرضٍ إن لم تكن السعيدة كلياً.

لقد كتب السيناريو المدهش، كما جاء في أحد العروض النقدية، الكتّاب جوليوس أبستاين، فيليب ج. أبستاين، وهاوارد كوتش، لشخصيات حقيقية ورائعة. وإنه لفلمٌ عظيم حقاً. وقد ركز المخرج مايكل كرتز على الرومانس ليكون الجزء المهم من القصة، حيث يتألق همفري بوغارت في دور ريك، وحيث لا يمكنك أن تحوّل نظرك عن الممثلة الرائعة أنغريد بيرغمان. هذا إضافة إلى إبداع الممثلات والممثلين الآخرين في الفلم.

فيلم (ارض زومبي) يتصدر ايرادات السينما الامريكية

تصدر الفيلم الجديد (ارض زومبي) ايرادات السينما في امريكا الشمالية..وتتناول احداث الفيلم تعرض كوكب الارض الى عدوى رهيبة تحول الناس الى كائنات غريبة (زومبي) بمجرد تعرضهم للعض من اي شخص مصاب. ويحاول كولومبوس النجاة من الاصابة ويضع بعض القواعد من أجل ذلك ثم يلتقي بشخص اخر وتنضم فتاتان لهما بعد ذلك. ويعتمد كل منهم على الاخر للبقاء على قيد الحياة وتتوالى احداث الفيلم.

والفيلم من اخراج روبن فلايشر وبطولة جيسي ايزنبيرج وودي.

وهبط من المركز الاول الى الثاني فيلم (السماء تمطر لحما)، وتتناول قصة الفيلم حدثاً مهماً وهو لقاء المعكرونة مع الجبن وتتركز الاحداث على بلدة تتساقط فيها الاطعمة من السماء مثل الامطار.

والفيلم من اخراج فيل لورد وكريس ميلر وقام باداء الاصوات بيل هادير وانا فاريس وجيمس كان واندي سامبيرج وجاء في المركز الثالث الجزء الثاني من فيلم الرسوم المتحركة الجديد (قصة دمية) "Toy Story".

وتتناول احداث الفيلم حياة راعي بقر لعبة يتعرض لتهديد شديد ويشعر بالغيرة الشديدة عندما يحل رائد فضاء خيالي لعبة محله كأهم لعبة في غرفة احد الاطفال.

والفيلم من اخراج جون لاسيتر وقام باداء الاصوات توم هانكس وتيم الين ودون ريكلز. وجاء في المركز الرابع الفيلم الجديد (اختراع الكذب)، وتتناول احداث الفيلم حياة مارك بليسون في عالم لا يكذب فيه احد ولكنه يعيش حياة حزينة ثم تتعرض والدته للمرض ويؤلف قصة عن الاخرة ليريح والدته على فراش الموت. وتتوالى الاحداث الى ان يتعلم بليسون الكذب لمساعدة الاصدقاء وللحصول على الاموال وفي النهاية ليفوز بالحب ايضا.

والفيلم من اخراج ريكي جيرفيه وماثيو روبنسون وبطولة ريكي جيرفيه وجنيفر جارنر.

وهبط من المركز الثاني الى الخامس فيلم (امهات بديلات)، وتتناول احداث الفيلم حياة البشر في عزلة وتفاعلهم من خلال امهات بديلات في صورة اجهزة انسان الي. ويجبر شرطي على ترك منزله لاول مرة منذ سنوات للتحقيق في عمليات قتل لامهات بديلات.

والفيلم من اخراج جوناثان موستو وبطولة بروس ويلز ورادها ميتشل وروزاموند بايك وجيمس كروموبل وجاك نوزورثي وهيلينا ماتسون ومايكل فيليب وداني اف سيمث وبريان ايه باريش.

بميزانية تعادل الدقيقتين الأوليين من (هاري بوتر)

فيلم (النهر المتجمد) يحصل على الأوسكار

ترجمة: بشرى الهلالي

بانتاج متواضع وميزانية بسيطة وبقابلية إخراجية مثيرة للتساؤل، تناقش المخرجة (كورتني هانت) في أول عمل لها فيلم (النهر المتجمد) قصة إمراتين يائستين تسلكان سبيل التهريب لكسب الرزق، وكان هذا الفلم سببا في حصول الممثلة ميليسا ليو على جائزة ألأوسكار.

يعتبر فلم كورتني هانت القاتم والمثير (النهر المتجمد)، واحداً من أفضل بواكير الأفلام الأميركية المؤثرة على مدى عدة سنوات ماضية.

وهو يدور حول مقاطعة موهاوك الجميلة بطبيعتها و المعزولة اجتماعيا والواقعة جزئيا في شمال نيويورك بينما يقع جزؤها الجنوبي في كويبك، في الجانب الآخر على الحدود بين كندا والولايات المتحدة ويميزها نهر القديس لورنس. وهي منطقة بشكل عام غير معروفة بالنسبة للناس بشكل عام، وفي عودة الى الخمسينيات ساهمت (الأوبزيرفر) بشكل ما في لفت الإنتباه الى هذا المكان. ففي ١٩٥٧ تم تكليف الروائي والناقد جون واين بإجراء مقابلة مع أعظم كاتب في أميركا، ادموند ولسون، في بيته الذي يقع في شمال نيويورك فقام واين بسؤاله عن وضع الهنود المحليين. ولم يعط الكاتب ولسن جوابا واضحا لواين. وبعد بضعة أسابيع قرأ ولسون تقريراً اخبارياً عن إنتقال هنود الموهاوك الى أراض قريبة من المقاطعة كانوا يدعون بأنها تعود اليهم، مشيرا الى دور واين في إثارة إهتمامه، فقام الكاتب بكتابة سلسلة مقالات لـ(النيويوركر) أصبحت في العام ١٩٦٠ بمثابة إعتذارات للأيوركيز ونواة العمل الذي لفت الإنتباه الى مأزق ونضال الأمريكيين الأصليين.

و(النهر المتجمد) يجمع إمرأتين، أحداهما بيضاء والأخرى هندية من الموهاوك (واحدة من ستة قبائل أسست أمة الأيروكيز)، في الأيام التي سبقت الكرسماس. في البداية نشاهد ري (ميليسا ليو) وهي تمسك سيكارة بين أناملها المتسخة وأظافرها القذرة بمظهر يائس، تستعد ليوم آخر مليء باليأس والرغبة في تقبل وضعها كأم لطفلين أحدهما في السادسة والآخر في الخامسة عشرة، في بيتها الصغير القروي والمهدم. زوجها الذي أدمن المقامرة، كان قد غادر توا وقد أخذ معه قسط البيت الذي كانت تقوم بتشييده وهي تحلم بالإنتقال اليه. عملها في بورصة الدولار المحلية كان مهددا (رغم إنها تتظاهر بأنها على أبواب ترقية)، وحياتها قاتمة شأنها شأن أرض القرية المغطاة بالثلوج بطرقها الطينية المتعرجة. إثناء بحثها عن زوجها، تشاهد ري سيارة زوجها تقودها إمرأة هندية شابة ممتلئة الجسم فتقرر ري ملاحقة المرأة الى مسكنها المتنقل في مقاطعة الموهوك لتكتشف إن غريمتها هي ليلا لتلوولف الفظة (مستي أبهام)، والتي تدعي بأنها عثرت على السيارة بعد إن تركها رجل صعد الى الباص مع فتاة شابة متجها الى الجنوب. توجه ري الغاضبة سلاحها نحو ليلا، وبعد محاولة عقيمة لسحب السيارة بعيدا، توافق ري على اقتراح ليلا ببيع السيارة الى أحد مهربي المقاطعة.

تدريجيا، نكتشف بان كلا المرأتين هما ليستا أكثر من والدتين مهذبتين تناضلان يائستين. فليلا أيضا هجرت من قبل زوجها وتعاني مشاكل في الحصول على عمل لتربية وليدها الذي تقوم والدة زوجها بالعناية به. وبدورها، فإن ري على استعداد لفعل أي شيء لرعاية ولديها وحصولهما على التعليم. في البداية تتبادل المرأتين الشكوك والإتهامات، ثم تضعان ثقتهما بحذر بشركاء الجريمة الذين يعملون كمهربين للبشر، حيث يقومون بنقل غرباء اسيويين في صندوق سيارة عبر نهر القديس لورنس المتجمد والبعيد عن دوريات الحراسة الى أميركا. ضمن المقاطعة (حيث تنتشر كارثة البطالة)، تبدو ري غير مرحب بها، بينما تفرض ليلا الجميلة وجودها. وفي الولايات المتحدة، ومع وجود ري كسائق للسيارة، تقل شكوك دوريات الحرس بليلا الهندية الأصل. ويعيش هذا الزوج الذي يستحوذ على إهتمامنا حالة من جمود بينما يمثل نهر القديس لورنس المتجمد لكليهما الفرصة لتكوين ثروة سهلة المنال وفي الوقت نفسه المخاطرة نحو الكارثة. ويشرف على نقطة التفتيش إثنان من الأمريكان اللذان يقومان بتسهيل الطريق للأجانب الذين يدفعون كل مالديهم لرؤوس العصابات من أجل بداية حياة جديدة في الولايات المتحدة. وتتصاعد الإثارة والتشويق عندما تبدأ الأحداث بأخذ مسار خاطئ حيث يقوم زوجان باكستانيان باخفاء طفل في أمتعتهما. وحتما، تزداد الأمور سوءا بسبب هذا العمل الأخير: حيث يندلع اشتباك مسلح في كندا، تليها مطاردة الشرطة. ورغم وجود بعض اللحظات المتشابكة في الحبكة الدرامية، لكن الحل مقنع ويتم بدون مبالغة أو عاطفية.

كورتني هانت التي تحولت من محامية الى صانعة أفلام، عاشت تجربة الحرمان نفسها التي مثلها أولاد ري في الفلم، وبشكل ممتع تنقل المخرجة فلم سكورسيزي (أليس لا تعيش هنا) والذي ترك تأثيرا في نفسها عندما كانت طفلة، فاستطاعت بذلك لفت أنظار العالم بحدة الى ري وليلا ساندها في ذلك الإداء المتميز للممثلة ليو، التي رشحت مباشرة للأوسكار (وبرأيي كان يجب أن تفوز). لقد عملت الممثلتان بشكل جميل معا، وساهم تشارلز ماكديرموت بشكل مؤثر في الفلم بدوره كإبن ري المراهق المثير للمشاكل، كذلك مايكل أوكيف الذي لعب دور حرس الحدود المتعاطف. ويعتبر (النهر المتجمد) علامة مميزة في قطاع انتاج الأفلام في أميركا والذي كلفت ميزانيته مايعادل الدقيقتين الأولى فقط من فلم هاري بوتر وكان أقصر منه بساعة فقط.

فيليب فرينش
عن الكارديان